المنهج القرآني الشحروري، التنوير الإسلامي، والصدام مع السلطة الدينية.

من هم القرآنيون

- القرآنيون هي طائفة من طوائف الإسلام ترى أن القرآن هو المصدر الوحيد للإيمان والتشريع في الإسلام. يُطلَق على أتباعها القرآنيون أو أهل القرآن.
- يعتقدُ القرآنيون أن رسالة الله في القرآن واضحة وكاملة كما هي. وبذلك يمكن فهمها تمامًا دون الرجوع إلى مصادر أخرى كالحديث والمرويات التراثية. القرآنية لا تعترف بما يُسمى اصطلاحا السنة النبوية كمصدر للتشريع
- يرى القرآنيون أن الكثير من الحديث ظني الثبوت، وقد يكون مُختلقاً، بينما القرآن قطعي الثبوت، وهو الكتاب الوحيد الذي اجتمع كافة المسلمين على صحته.
- لا يعتمد القرآنيون في العادة على علماء السلمين والتراث، لأنهم يستعينون في استدلالاتهم بالقرآن فقط.

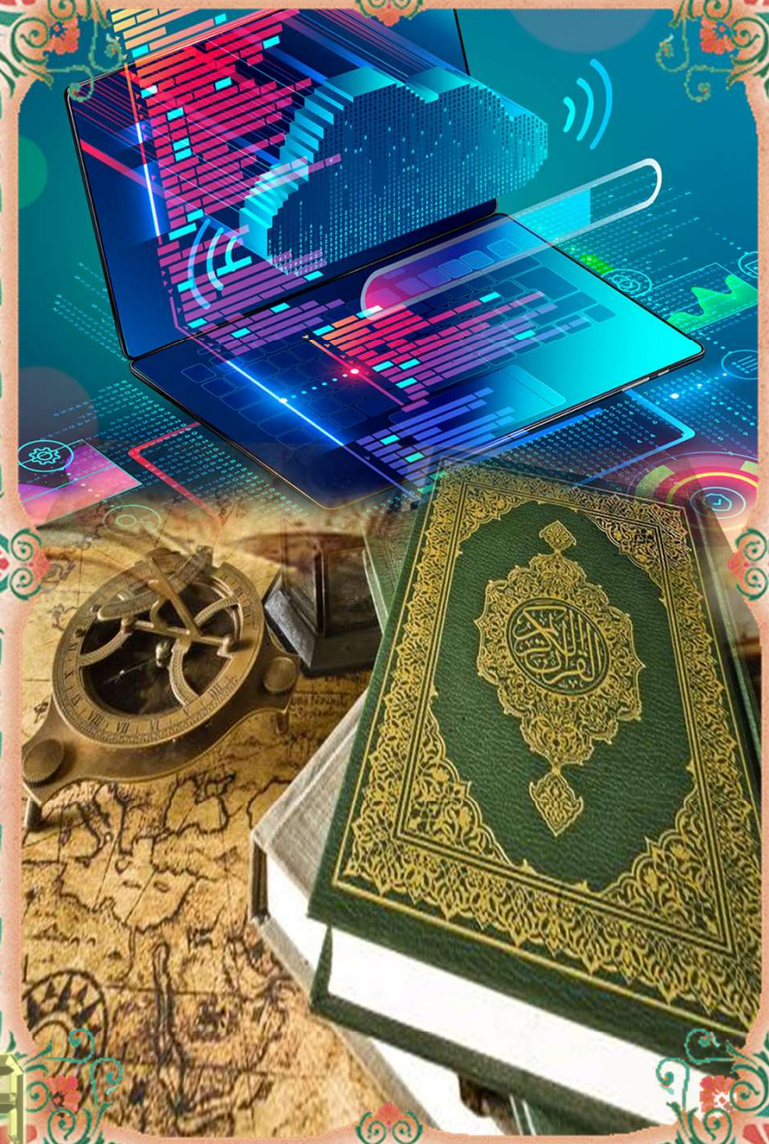

القرآنيون تاريخياً

- يقول الأستاذ أحمد أمين عن إبراهيم النظام : «كان لا يؤمن بالإجماع وكان قليل الايمان بالقياس وقليل الايمان بصحة رواية الحديث، ويكاد لا يؤمن بأصل إلا القرآن والعقل»(ضحى الإسلام3/126). والنظّام كسائر المعتزلة ينتقد أهل الحديث والحشوية وتبعاً لذلك اكثر المحدثين هجموا وافتروا عليه.

- ظهر أحمد خان في الهند في فترة الاحتلال الإنجليزي الذي فسر القرآن بالرأي المحض، ووضع شروطا تعجيزية لقبول الحديث مما جعله ينكر أغلب الأحاديث. ثم تلاه عبد الله جكرالوي في باكستان

- يقول د. أحمد صبحي منصور إن جذور القرآنيين بدأت منذ حركة الشيخ محمد عبده الإصلاحية عام 1905 فيقول إن «محمد عبده رفض الحديث والتصوف وانتقد البخاري وأنكر الشفاعة، ولكن تلميذه محمد رشيد رضا خالف مبادئه وتعاون مع السلفية وهو أستاذ لحسن البنا مؤسس جماعة الإخوان المسلمين»

- حول العالم:
  - أهل القرآن منظمة شكلها عبد الله جكروالي باكستان
  - إزجي أمل منظمة قرآنية في كازاخستان
  - الجمعية القرآنية الماليزية -قاسم أحمد
  - زومراتول جاميو مومن هي حركة قرآنية في ولاية أوجون، نيجيريا.

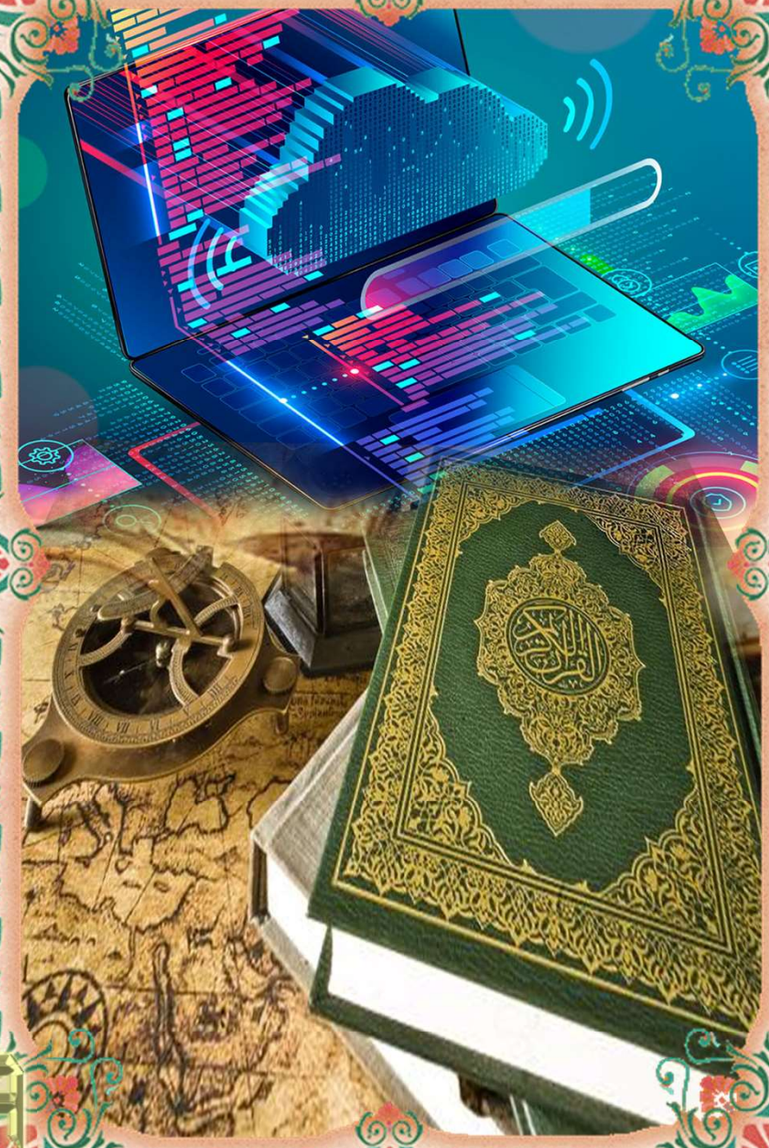

المنهج القرآني- محمد شحرور

مقدمة

القرآني هو من:

- يؤمن أن القرآن هو الوحي الإلهي الوحيد، ومصدر التشريع الأوحد سواء بالعقيدة أو الأحكام.
- تأويل القرآن يكون برفض الناسخ والمنسوخ ومنع الترادف بشكل كامل، ويبتعد عن التعضية ويراعي السياق واكتمال الآيات، ويعتمد على فهم اللغة العربية المرن المتغير مع الزمن، والاتساق مع العلم والعقل والعصر.
- من يرى أن الحديث ليس مصدرا للتشريع ولا وحيا ثانيا ويأخذ منها ما يتفق مع القرآن والعقل والعلم.

«لا يسعني ما وسع الصحابة في فهم الكتاب والقرآن؛ لأنّ أرضيتي العلمية تختلف عن أرضيتهم، ومناهج البحث عندي تختلف عمّا كان عندهم، وأعيش في عصر مختلف تمامًا عن عصرهم، والتحديات التي أواجهها تختلف عن تحدياتهم... وأكون متوهّمًا إذا قلتُ أو قبلتُ بأنه يسعني ما وسِعَهم»

المنهج القرآني- محمد شحرور

أولًا: نَصّ الوحي المنزل ليس تُراثًا ولا جُزءًا من التراث، ولا يَتَعيّن النظرُ إليه كالنظر إلى نُصُوص التراث الإسلامي أو الإنساني.

- نصّ الوحي المنزل لا علاقة له بما هو تراثي زمنًا وإنشاءً للأقوال لا من قريب ولا من بعيد، إلا على مستوى أنه أنزل في زمكانٍ معيّن.
- يعدّ كلّ ما أنتجه الناس حوله وفي ظلاله تراثًا محضًا، خاضعًا لمحض النقد التاريخي، ضمن تفاعل تاريخي مرحلي نسبي محض.
- أدى المنهج الأصولي التراثي إلى نتيجتين في غاية الخطورة، وهما:

1. استبدال النصّ الثاني (المذهب أو الرأي) بالنصّ المؤسِّس (التنزيل الحكيم)
2. تحويل الاجتهادات التفسيرية التاريخية إلى نقلية محضة، بدل النظر إليها بوصفها مجرد إمكان عقلي اجتهادي، مما حوّلها إلى نصوص مقدّسة أكثر من المقدّس نفسه، ازدادت قداستها مع طول الزمن

المنهج القرآني- محمد شحرور

ثانيًا: لا نَاسخ ولا مَنسوخ بين نُصُوص الوحي المنزل حُكمًا ودلالةً.

- النسخ كما أصَّلته العلوم المنهجية للتفسير التراثي، تعريفًا وتقسيمًا وتنويعًا، لا وجود له إطلاقًا داخل فضاء نصّ الكتاب المنزل؛ إِذْ لكلّ حكم من أحكام الآيات حقل ومجال للعمل به إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.
- النسخ إن كان متحققا فهو متحقّق الوجود حصرًا بين الرسالات السماوية فيما بينها، ووفق شروط محددة (مثلا بآيات الأحكام، الناسخ أكثر تجريدية من المنسوخ، الناسخ أقل تشددا بالأحكام من المنسوخ،..الخ).

{مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ * مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنْسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلِهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ}[البقرة: 105، 106].

المنهج القرآني- محمد شحرور

ثالثًا: تَنزيهُ نَصّ الوحي المنزل عن الترادف بين مُفرداته وتَراكيبه، والتناوب بين حُروفه، والزائد زيادة حَشو في نصوصه

استقرّت علوم منهجية التفسير الموروث على وجود الترادف بين المفردات، وأيضًا التناوب بين الحروف. والقول بذلك كان يتناسب مع النظام المعرفي السائد وقتئذٍ، القائم على الرواية بالمعنى، مما أدى إلى أن فَقَدَ نصُّ التنزيل متانته وبيانه.

فإذا كان العلم الذي هو صناعة إنسانية محضة لا يقبل بذلك، إِذْ يعطي لكلّ مدلول دلالة، ولكلّ مُكوّن اسمًا خاصًّا لا يشاركه فيه أحد سواه، من باب مراعاة الدّقة العلمية، فكيف نقبل ذلك في كلام الله رب العالمين الصادر عن الحكيم الخبير؟

مثلا: الفرق بين "القول" و"النطق" وبين "أتى" و"جاء".

المنهج القرآني- محمد شحرور

رابعًا: قراءة نَصّ الوحي المنزل مَفصولًا عن كلّ ما قيل في شأنه من تفسيرات.

القطع مع كلّ التراث الإسلامي الذي نشأ في ظلال التنزيل الحكيم قطيعةً كلّية على مستوى الأدوات، ومن ثمة القطع مع إنتاجاتها، ما دام أن من المسلَّم به أن المعرفة رهينة أو أسيرة أدواتها؛ كلّما تغيّرت الأدوات تغيّرت المعرفة بشكل جدلي. وهذا القطع:

- لا يعني التنقيص أو التبخيس من تراث الأمة الإسلامية.
- لا يعني رفض السنة النبوية والسيرة العطرة،
- بل يعني الاجتهاد في إبداع مناظير جديدة للتعامل مع نصّ التنزيل وتأصيل الأصول، اعتمادا على حقيقة أن "النص ثابت والمعنى متحرك"، ولا يتم للنصّ الثابت أن تتحرك معانيه إلا بفتح أبواب الاجتهاد عَبر أدوات معرفية جديدة منبثقة من العصر وتطوراته المعرفية والعلمية وكأنَّ نصّ التنزيل الحكيم أُنزل الآن.

المنهج القرآني- محمد شحرور

خامسًا: لا علاقة لنَصّ الوحي المنزل بنُصُوص اللسان العَربي

النص العربي التاريخي كالشعر الجاهلي ليس حكما في فهم نص التنزيل الحكيم، لعدة اعتبارات:

- الكلام العربي مرتبط بالأرضية المعرفية زمنياً ومكانياً، بينما النص المُنزل فهو متعالٍ على الزمان والمكان، ويناسب تغيُّر الأرضية المعرفية الإنسانية.
- ربط النص المَنزل بقوانين اللسان العربي قبل وأثناء النزول يعني فرض تاريخانية مقيدة للمعنى المتحرك الناتج عن النص.
- يوجد تطابق بين اللسان العربي ونصّ الكتاب المنزل زمن النزول؛ سواء على مستوى المفردات أو التراكيب، لكن الاستعمال الدلالي رهين بالسياق النصي أو النظم أو الحقل الدلالي.

المنهج القرآني- محمد شحرور

سادسًا: القراءة المُعاصرة لنصّ الوحي المنزل قائمة على أساس الاهتداء بالعلوم والمناهج الغربية المعاصرة

اتّباع إبداعات العلوم الغربية المعاصرة، كالتوسّل باللسانيات والسيميائيات والرياضيات وعلوم الآثار والاجتماع والنفس والتاريخ ومقارنة الأديان وغيرها من العلوم الإنسانية والكونية. بناءً عليه «إذا تعارض ظاهر نصّ قرآني مع حقيقة علمية، وجب اللجوء إلى التأويل».

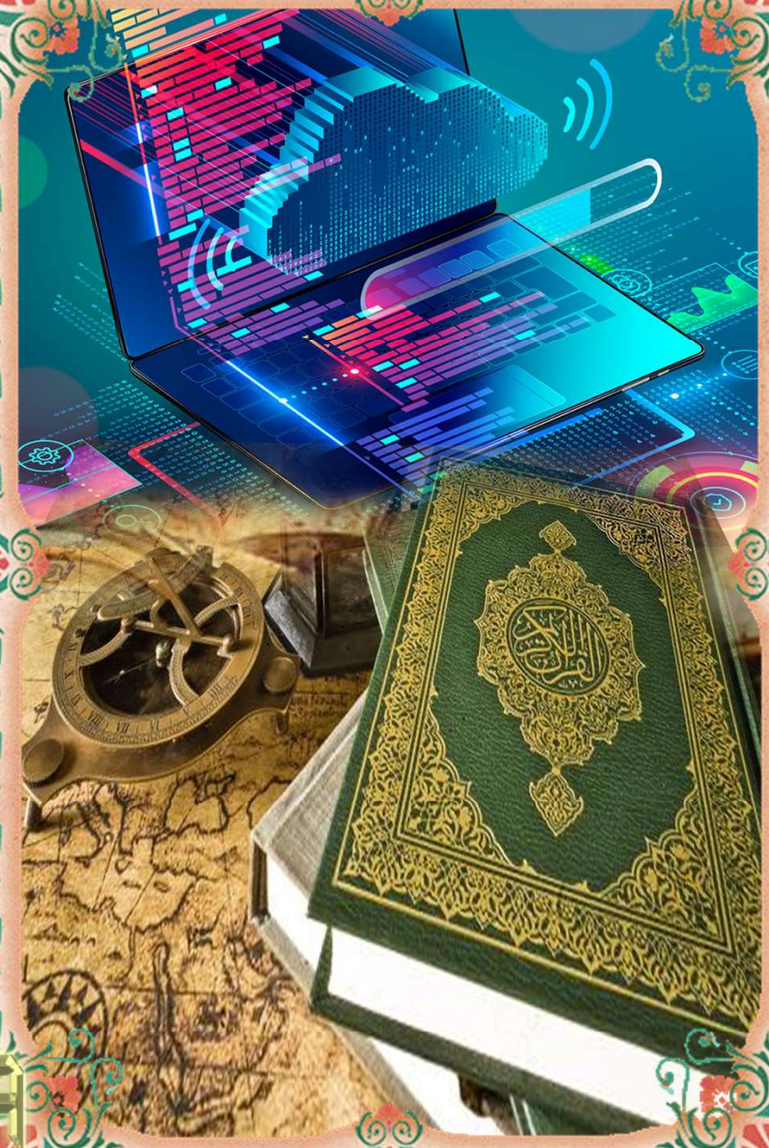

المنهج القرآني- محمد شحرور

سابعًا: قراءة نَصّ الوحي المنزل رَهين باتّباع منهج الترتيل/التفسير المَوضوعي-التوحيدي.

قاعدة الترتيل، تُعَدُّ من أهم قواعد البحث العلمي، ومن دونها لا يمكن لأيّ بحث علمي أن يحقق نتائج مفيدة. فعند تنزيلها على نصّ الكتاب المنزل تتم وفق الخطوات التالية:

1. انتخاب موضوع الدراسة في أيّ مجال من مجالاته،
2. ثم استخراج النصوص المتعلقة بالموضوع؛ تعلقًا كليًّا أو جزئيًّا،
3. ثم تُرَتَّب النصوص ترتيبًا نسقيًّا، الواحد تلو الآخر،
4. ليتم بعد التفحُّص والنظر المُخمر؛ الاهتداء إلى الدلالة الموضوعية الكلية للموضوع المختار.

{وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا}[الفرقان:32]، {وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا}[المزمل: 4]

المنهج القرآني- محمد شحرور

ثامنًا: مُراعاة مَواقع النجوم أسٌّ ضروري للفهم الأسلَم لنُصُوص الوحي المنزل

كلّ آية من آيات التنزيل الحكيم مختومة بفاصلة. وفواصل الآيات هي (مواقع النجوم)، وهي المقصودة بقوله تعالى: {فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ * وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ}[الواقعة: 75–76].

والناظر في مواقع النجوم يتوصل إلى أنها تحمل أسرارًا ومفاتيح تأويلية، تُعِين بشكلٍ مِفصليّ على فهم الكتاب المنزل من داخله، وهي تعدّ دلائل مادية مباشرة على أنّ القرآن الذي جاء به محمد –عليه الصلاة والسلام– هو وحي من عند الله تعالى وحده دون سواه، وفي حالة سقوط نجم– فاصلة، يصبح الخبر في الآيات كاذبًا بدل أن يكون صادقًا.

{وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى * مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى * وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى}[النجم: 1- 4]

المنهج القرآني- محمد شحرور

تاسعًا: القراءة المُعاصرة لنصّ الوحي المُنزل مَنُوطة بالابتعاد عن منهج التعضية.

الابتعاد عن منهج (التعضية) يأتي مكملًا للالتزام بمنهج (الترتيل)، فإن منهج التعضية أن نعمد إلى قسمة ما لا ينقسم من الآيات الدالة على موضوع أو موضوعات محددة؛ بمعنى أن الآية الواحدة إذا كانت تحمل فكرة واضحة كاملة، تعيّن منهجيًّا أن ننظر إليها كلّية دون تقسيم أو تجزيء مكوناتها. وإذا كانت أيضًا مجموعة آيات حاملة لفكرة واضحة كاملة، تعيَّن أخذها كلّها بعين الاعتبار؛ درءًا لتقسيم ما لا ينقسم من الآيات أو مجموعة آيات.

{الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ * فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ}[الحجر: 91- 93]

المنهج القرآني- محمد شحرور

عاشرًا: القرَاءة المعاصرة لنَصّ الوحي المنزل قائمة على أساس نَزع مَهابة التقديس عنه.

يجب أن تتم دراسة النصّ بلا عواطف جياشة، من شأنها أن توقع الدارس في الوهم، بمعنى كون نصّ التنزيل الحكيم وحيًا من الله تعالى أو كونه مقدسًا لا يمنع البتة من الجرأة في البحث والطرح من داخل النصّ.

جرأة البحث لا تعني بأيّ وجه من الوجوه نفي صفة الوحي أو القداسة عنه، ولا تعني أيضًا تسويته بغيره من النصوص التي من جنسه، أو التي ليست من جنسه،

كون الباحث قد نفى صفة الوحي عن الكتاب المنزل، فهو لا ينفيها إلا في اعتباره الذهني، ولا يتسنى له بأيّ وجه من الوجوه أن ينفيها عنه بالاعتبار الموضوعي. وهذا هو سرّ إعجاز كتاب الله تعالى، الذي أراده الله أن يكون إنسانيًّا وعالميًّا وخاتمًا ورحمةً للناس جميعًا.

المنهج القرآني

الاعتراضات والرفض

- {مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا} [النساء: 80]
- {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا} [النساء: 59].
- "تركت فيكم ما إن تمسكتم به فلن تضلوا بعدي أبدا، كتاب الله وسنتي" (رواية الإمام مالك في الموطأ)
- الحديث الذي يرويه أبو داوود والترمذي وابن ماجه بسند صحيح " يوشك رجل متكئاً على أريكته يحدث بحديث عني، فيقول بيننا وبينكم كتاب الله، فما كان فيه من حلال حلّلناه، وما كان فيه من حرام حرّمناه، ألا وإن ما حرّم رسول الله مثل ما حرّم الله".

المنهج القرآني

الاعتراضات والرفض من قبل الكهنوت الإسلامي

- غالبية التراثيين هاجموا محمد شحرور شخصيا، وبعضهم كفره، وآخرين زندقوه، وقلةٌ قبلوا نقاشه، ونادراً من رد عليه منهجياً (كعادة الكهنوت الديني).
- نفس الموقف كان من كثيرين من المجددين المعاصرين مثل الدكتور عدنان إبراهيم والشيخ حسن فرحان المالكي والشيخ كمال الحيدري.
- تم اللجوء إلى اتهام كل المجددين بالتهمة الجاهزة وهي العمالة للغرب وأعداء الإسلام وغيرها من نظريات المؤامرة. وهذه حيلة العاجز الأكثر شيوعا.
- تم التدليس عليهم بأنهم أعداء للسنة وأصول الدين والإيمان.
- بالمحصلة كانت حملة تحريض وخطاب كراهية لا تراعي القيم الأخلاقية، ولا المنهج العقلاني النقدي في النقاش.

المنهج القرآني

الموقف السياسي والإعلامي

- لم يتلقَ الدكتور شحرور وغيره من مجددين دعماً سياسياً مباشراً من قبل أيٍ من الحكومات العربية أو غيرها، في مقابل متابعة الدعم السياسي لعموم الطرح التراثي الإسلامي وطبقة المشايخ. بل إن الشيخ حسن فرحان المالكي ما زال سجينا في السعودية بسبب أرائه التجديدية.
- لم يتم تبني هذا التيار إعلاميا من قبل كبرى الوسائل الإعلامية، كما تتبنى هذه الوسائل الطرح التراثي سنياً كان أو شيعياً. والمساحة التي تم منحها كانت من باب الخبر المثير لجذب المشاهد وليس لمساعدة الطرح بالانتشار.
- بالمحصلة هذا الطرح بما يقوم عليه من منهج نقدي يعتمد على عقل الإنسان وقيمته يعارض مصالح الطبقة السياسية والإعلامية الحاكمة.

المنـهج القرآني

الادعاءات الأهم التي سيقت ضد القرآنيين

- ادعاء أن لا منهج لديهم مقابل منهج التراثيين بمختلف مذاهبهم وفرقهم.
- تعييب منهجهم بأن لا كتب ولا تراث لهم يستندون له، بمعنى أن لا سلف لهم، ولا شيوخاً ولا أئمةً يمثلونهم.
- ادعاء ان منهج تدبر القرآن سيؤدي للميوعة والفوضى في قراءة القران واستخراج الاحكام.

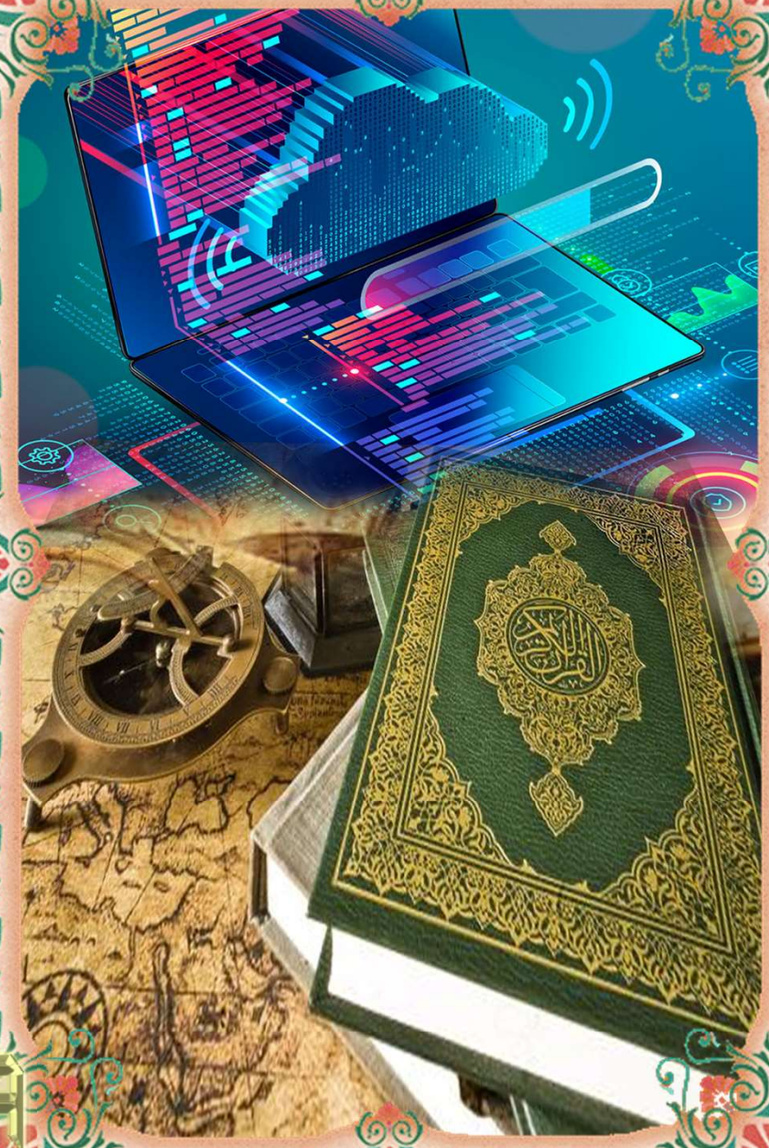

المنهج القرآني

الرد على الادعاءات المساقة ضد القرآنيين

- للمنهج القرآني أساس واضح بيّناه سابقا هنا، ويتفوق على المناهج الإسلامية الأخرى بتحرره من تناقض تراث كل منهج.
- أساس هذا المنهج هو إنكار حاكمية التراث على فهم القرآن، وكثرة العلماء والفقهاء لم تحقق لبقية المناهج أي تفوق حقيقي بالعصر الحديث بل بالعكس أدخلت المسلمين بأزمات وجودية كبيرة.
- إن ميوعة الفهم واختلاف التفسيرات وتباينها أحيانا نتيجة واضحة وإشكالية في التراث الإسلامي بصوره الحديثة.
- إن شطط قلةٌ من الناس في أي مذهب أو دين حقيقة إنسانية مستمرة، ولذلك لم يسلم الإسلام التراثي من فرق ذهبت بعيداً في فهم الإسلام.

المنهج القرآني

أيضا تيار غير المسلمين الرافض للإسلام هاجم القرآنيين، بل وأخرجهم من الملة

- المنهج القرآني أفقد هذا التيار أدواته في نقد أو الهجوم على الإسلام، والتي تقوم بغالبيتها على نصوص التراث.
- المنهج القرآني يثبت أن الإسلام مثل بقية الأديان قابل للتجديد والإصلاح، وهذا ضد رؤية المهاجمين للإسلام الذي يحملونه كل آثام العصر.
- يبين هجومهم أيضا أن حجج هذا التيار تقيم قوتها على تنوع التراث وامتلائه بالغث والثمين.

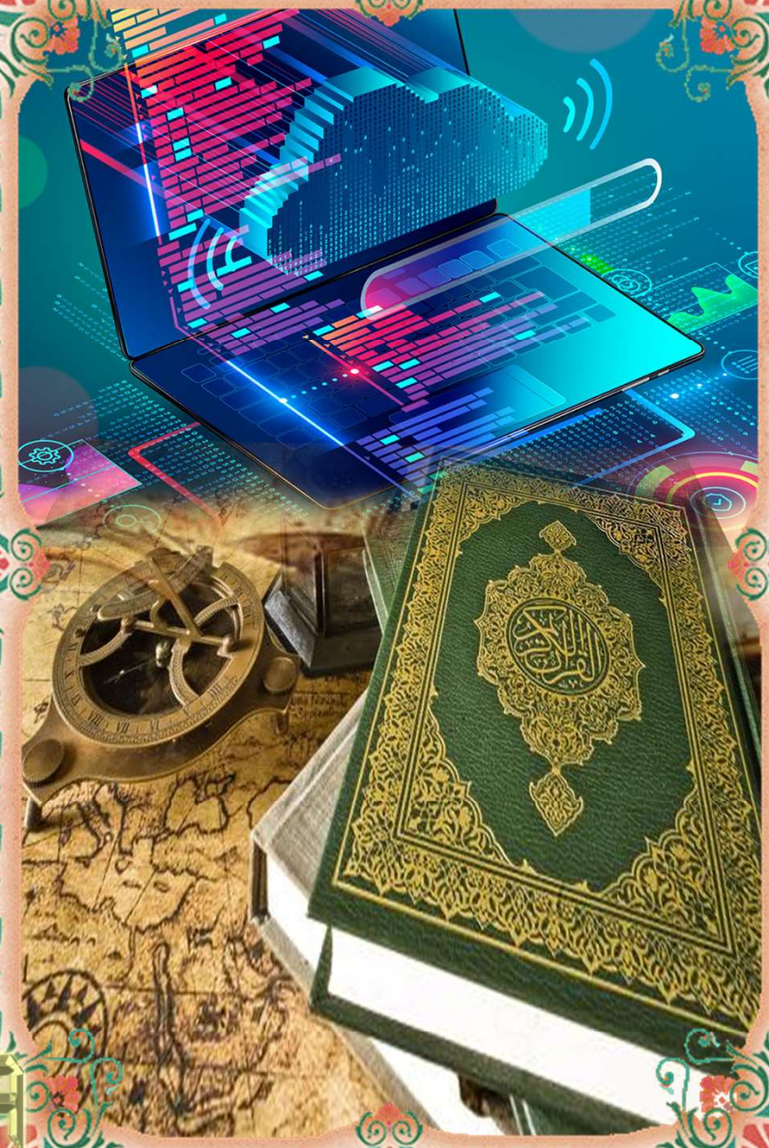

المنهج القرآني

أخطاء أصحاب المنهج القرآني

- تركيز أصحاب المنهج على تأويل القرآن الكريم، وصرف الجهد أحيانا بقضايا ليست جوهرية بالخلاف مع التراث.
- تجنب الخوض بالقضايا الإشكالية التي يعانيها المسلمون بسبب الفهم التقليدي الكهنوتي للنص الإسلامي مثل قضايا: حقوق الإنسان، حقوق المرأة، العلاقة مع الآخر المختلف دينيا (التكفير، الولاء والبراء)، علاقة الدين بالسياسة والدولة، سلطة رجال الدين، علاقة الدين بالعلم الحديث.
- افتقاد التنظيم والعمل الجماعي لإنشاء تيار مؤثر يصل للمسلمين، ويجنب التيار تطرف بعض القرآنيين.

أعلام تنويريون